انتخابات قيرقيزستان الرئاسية

أ. محمد أنور
الهيئة العامة للاستعلامات

مقدمة :

فى اختبار جديد للديمقراطية فى دول آسيا الوسطى المنفكة عن الاتحـــاد السوفيتي السابق، والتى لطالما عانت صراعات مريرة على السلطـــة وتـــداولاً ثورياً وانقلابياً على كراسى الرئاسة مثلما حدث في كازاخستان وأوزبكســـتـــان وتركمانستان وطاجيكستان القريبة، ولم يشذ عن تلك القاعدة أي من دول هـــذه المنطقة، وإن كانت بدرجة أقل فى دولة قيرقيزستان التى شهدت خلال شـــهـــر أكتوبر الماضى ٢٠١٧، مخاض إنتخابات رئاسية انتهت بانتقال سلمي للسلطـــة في منطقة عرفت وضعاً استثنائياً ومعتادة على أن يبقى الرؤساء فيهـــا مـــدى الحياة.

وطبقاً للنظام السياسي فى قيرقيزستان والذى تم تعديله عـــام ٢٠١٦ لا يحق للرئيس أن يبقى فى منصبه أكثر من ولاية رئاسية واحدة بعـــدمـــا كـــان مسموحاً له بالترشح لفترتين، قضاها الرئيس المنتهية ولايته "يلمـــاظ بـــيـــك أتامباييف" وانتهت فى الأول من ديسمبر ٢٠١٧، حيث أفضت النتائج النهائيـــة للماراثون الإنتخابى عن فوز "سور نباى جيبينيكوف" مرشح الحزب الاشتراكي-الديمقراطي القرقيزي أكبر الأحزاب في البرلمان، والمعروف بولائه لأتامباييف، بنسبة ٥٤% من إجمالى الأصوات وإعلانه الرئيس الخامس لقيرقيزستان منـــذ إعلان استقلالها عن الإتحاد السوفيتي السابق عام ١٩٩١.

وعلى الرغم أن الحياة السياسية فى قيرقيزستان تختلف لحد واضح عن مثيلاتها في البلدان المجاورة في آسيا الوسطى، إلا أن العديد من تقارير المراقبين قبيل إجراء عملية الإقتراع أبدت مخاوف من أن تؤدى هذه الانتخابات إذا ما أُسيئت إدارتها إلى تحطيم الواجهة الديمقراطية لقرقيزستان، لأسباب عدة أولها أن العملية السياسية فيها هشه وقابلة للتغيير، مثلما حدث فى أعقاب إنهيار الإتحاد السوفيتي حيث تمت الإطاحة بالرئيس عسكر أكاييف أول رئيس للبلاد فىما عُرف "بثورة التيوليب" عام ٢٠٠٥، فيما فر الرئيس الثانى "كرمان بك باكييف" إلى المنفى عام ٢٠١٠ عندما اقتحم الشعب القصر الرئاسى وسط اتهامه بمزاعم الفساد، فضلاً عن تأثير القبليات خاصة مابين قوميتي الطاجيك والاوزبك وارتفاع النعرة العرقية والتقسيمات المناطقية التي عززتها الجغرافيا الجبلية للبلاد، فضلاً عن تداول تقارير بارتفاع وطأة استهداف المعارضين فى تلك الدولة وبخاصة ممن يحظون بقبول شعبى لصالح مرشحين يتم وزنهم لصالح وكفة النظام السياسي، بالإضافة لتأكيدات أخرى بتأثير الحكومة على وسائل الإعلام.

من ناحية أخرى، كان عدد مقدر من المراقبين قد أبدوا مخاوف من أن تؤدى نتائج الاستفتاء الذى أُجرى في ديسمبر ٢٠١٦ والذى أفضى إلى مجموعة تعديلات كان من أهمها عدم أحقية الرئيس فى الترشح لأكثر من دورة واحدة لا تزيد بموجب الدستور عن ٥ سنوات، فضلاً عن إعطاء مزيداً من الصلاحيات لرئيس الوزراء، وسيطرة واضحة للسلطة التنفيذية على القضاء، إلى التأثير سلباً على توازن القوى السياسية على الرغم من وجود تعددية سياسية في البلاد، فيما إعتبر أخرون أن تلك التعديلات كانت توطئة لتولى الرئيس المنتهية ولايته "الماظ بيك أتامباييف" منصب رئاسة الوزراء بعد تركه

لمنصب الرئيس على شاكلة النموذج الروسي وتبادل كرسى الرئاسة بين بوتين وميديفيديف

طبقا لتقديرات الخبراء فإن انتخابات قيرقيزستان الرئاسية ٢٠١٧ كانت بمثابة المحك وأول انتقال وتداول ديمقراطي سلمى للسلطة في بلد قارب عدد سكانه سبعة ملايين نسمة وغنية بالذهب والمعادن الأخرى، وتستضيف قاعدة عسكرية روسية استراتيجية، والتى أعادت تنظيم نفسها كجمهورية برلمانية بعد أن أطاحت أعمال شغب عنيفة بأول رئيسين توليا الرئاسة في البلاد بعد سقوط الإتحاد السوفيتي.

قواعد العملية السياسية

طبقا للدستور والنظام السياسى فى قيرقيزستان، تتم إنتخابات الرئاسة وفق الإقتراع السرى العام بين عدد من المرشحين، حيث يبلغ عدد المواطنين المؤهلين للتصويت (٣،٠٢٥،٧٧٠) مليون نسمه، وعلى الرغم من نص القانون على أن يتم الاقتراع على دورتين، إلا أن جميع الإنتخابات الرئاسية التى أُجريت في البلاد انتهت دون إجراء دورة ثانية منذ حصول قيرقيزستان على استقلالها.

وقد كان من المقرر إجراء الإنتخابات أواخر شهر نوفمبر ٢٠١٧ ولكن تم تغيير التاريخ بسبب انتهاء فترة أتامباييف الرئاسية يوم ١ ديسمبر، وهو ما دفع نواب المعارضة في المجلس الأعلى للمطالبة بتقديم موعد انعقادها، لإفساح المجال لعقد لدورة ثانية محتملة وإقامة احتفال التنصيب قبل يوم ١ ديسمبر، وهو ما يمنع وقوع تضارب قانوني، وهو ما تم حيث أجريت الإنتخابات يوم الأحد ١٥ أكتوبر الماضى.

وقد تنافس فى الماراثون الرئاسى أحد عشر مرشحاً في سابقة غير

مألوفة، بينهم ثلاثة من رؤساء الوزراء السابقين في عهد الرئيس أتامبايـــيـــف الذى يقود البلاد منذ عام٢٠١١، وهم مرشح الحزب الحاكـــم ســـورونـــبـــاي جينبيكوف، و إيمر بيك بابانوف مستقل، و تيمير ساريف مرشح حزب الصقـــر الأبيض، وهم من سبق لهم تولى منصب رئاسة الوزراء فى عهد الـــرئـــيـــس السابق والاسبق، و آداخان مادوماروف مرشح حزب قيرقيزستان المتحـــدة، و تالات بك ماساديكوف مرشح مستقل، و أولوكبيك كوشكورو مرشح مستـــقـــل، وعظيم بك بيكنازاروف مستقل، وأرستان بك عبديلداييف، وأرسلان بك ماليـــيـــف مرشح مستقل، وإرنيس زارليكوف مرشح مستقل، و توكتايم اوميتاليفا مرشـــح مستقل. وهكذا ضمت قائمة المرشحين ٨ من المرشحين المستقليـــن، ٥ مـــن مرشحي الأحزاب، ومعظمهم ممن لديهم تاريخ حافل فى مجال العمل السياســـى، وعلى الرغم من ارتفاع عدد المتنافسين على المنصب، إلا أن تقديرات المحللين أكدت أن التنافس على منصب الرئيس سيكون بين أربعة متنافسين هم أومبورك بابانوف وسورونباي جينبيكوف وتيماري ساريف وباكيت توروباييف كأفضـــل المرشحين.

أهم الرموز المرشحة للرئاسة

سورونباي شاريبوفيك جينبيكوف، ولد فى ١٦ يونيو ١٩٥٨، بقرية بيي ميرزا بإقليم ومدينة أوش، التحق بعد انتهاءه من المرحلة الثانوية، بأكاديميـــة قيرقيزستان للزراعة، وتخرج فيها مهندساً لعلوم الحيوان، ثم استكمل بعـــدهـــا دراسته في علم الإقتصاد من الجامعة الوطنية للزراعة بقيرقيزستان وحصل على درجة البكالوريوس فى الإقتصاد.

مثلما أظهر جبينيكوف تفوقاً فلى مراحل التعليم المختلفة، أظهر تميزاً فى المجال العملى وترقى فى المناصب إلى أن وصل إلى منصب حاكم مقـــاطـــعـــة

أوبلاست أوش عام ٢٠٠٣، ثم واصل مسيرة النجاح تدريجياً إلى أن شغل منصب وزير الزراعة عام ٢٠٠٧، وواصل رحلة الصعود فى مؤسسة الرئاسة إلى أن أصبح رئيساً للوزراء خلال الفترة من ٢٠١٠ -٢٠١٦، وأصبح مقرباً من الرئيس أتامباييف وحظى بدعمه وبات يُنظر إليه باعتباره خليفته فى الحكم، وفى ٢١ أغسطس, ٢٠١٧ أعلن جينبيكوف عن نيته فى الترشح لإنتخابات الرئاسة، ثم تنحى للتفرغ لحملته الإنتخابية.

جدير بالذكر أن شقيق جبينيكوف "أسيلبيك جينبيكوف" يعمل أيضاً بالعمل السياسى وكان سياسياً من الطراز الأول، وكان من قادة البرلمان عام ٢٠١١.

أيمر بيك بابانوف، المرشح المعارض الأول والخصم اللدود لجبينيكوف، يبلغ من العمر ٤٧ عاماً وهو الإبن الوحيد لوالده، الذى كان يشغل نائب دولة قيرقيزستان فى المجلس السوفيتى الأعلى، عاش فترة طفولته الأولى ومرحلة الشباب فى كازاخستان، وبعد تخرجه فى الجامعة بدأ مسيرته العملية ولمع نجمه فى مجال التجارة والأعمال فى مجالات الفنادق والوقود والعقارات، وجمع ثروته من العمل أيضاً فى مجال النفط، ثم دخل عالم السياسة عام ٢٠٠٥ عبر بوابة البرلمان، إلا أنه لم يسعد بالمنصب كثيراً حيث وقع إنقلاب على الرئيس السابق أكاييف فيما عُرف "بثورة التيوليب"، وكان يعُرف عن بابانوف أراءه القوية ضد الرئيس، لذا واصل عمله السياسي إلى أن أصبح نائباً لرئيس الوزراء عام ٢٠٠٩ فى عهد الرئيس باكييف، ثم فى عام ٢٠١١ تم تعيينه رئيساً للوزراء فى عهد الرئيس المنتهية ولايته يلماظ أتامباييف، لكنه اضطر للتنحى في عام ٢٠١٢ بعد توجيه اتهامات له بالفساد المالى وتلقى رشاوى في السنة التي سبقت الإنتخابات البرلمانية عام ٢٠١٥، وقام بتأسيس تحالف بين حزبه

ريسبوبليكا "أرض الآباء" ثاني أكبر حزب في البرلمان وحزب آتا – جورت القومي.

وكان يُنظر لبابانوف باعتباره سياسياً محنكاً ورجل أعمال ناجح ومليارديرذو جماهيرية شعبية، يقدم نفسه كزعيم كاريزمي وديناميكي وإصلاحي، كما أنه صغير السن، والأكثر تحضراً وبالتالى تعتبره قاعدة عريضة من الشعب القيرقيزى المرشح الأوفر حظاً فى صفوف المعارضة والأكثر قدرة للفوز بالمنصب الأهم، بدلاً من جينبيكوف، إبن الجنوب الريفي والذي يُنظر إليه باعتباره التابع المخلص لأتامباييف.

أما المرشحون الباقون، فقد تم النظر إليهم باعتبارهم الأقل حظوة فى الحصول على فرصة الفوز بالمنصب الكبير، إلا أنهم كانوا من المرجح أن يؤثروا على النتيجة النهائية عبر التحالفات والتوافقات بين المرشحين مما يلقي بثقله لأحد المرشحين، مثلما فعل تاشييف الذى انسحب لصالح جبينيكوف.

تيميرساريف، وهو المرشح الثالث، صاحب الشعبية الجماهيرية ولكن بدرجة أقل من جبينيكوف وبابانوف، من مواليد إحدى قرى أقليم تشويفي حيغر ببيشكيكن يبلغ من العمر ٥٤عاما، كان وزيراً سابقاً للمالية إلى أن أصبح رئيساً للوزراء في الفترة من مايو ٢٠١٥ إلىأبريل ٢٠١٦، ترشح لمنصب الرئيس عن حزب ايه – شومكاروايتفا لكون، تعرض بعد استقالته لانتقادات بمزاعم ضلوعه بقضايا فساد.

أما المرشح الرابع باكيتتوروبايف، ٤٤ عاما، فقد تقدم للترشح للرئاسة عن حزب اونوغو التقدمى الذى يتولى رئاسته، وهو برلمانى سابق أنتُخب عضواً فى حزب أكول الذى كان يرأسه آنذاك كرمان بكباكييف.

قيرقيزستان الدولة والنظام

توجد جمهورية قيرقيزيا في الجزء الشرقي من آسيا الوسطى، وتجاورها جهوريات إسلامية فمن الشمال تجاورها كازاخستان، ومن الغرب جمهورية أوزبكستان، ومن الجنوب الغربى جمهورية طاجكستان، وتشترك فى حدودها الشرقية مع إقليم تركستان الشرقية التابع للصين، وأرض قيرقيزيا جبلية في مجملها، وتتكون من هضبة عالية تضم في الشمال سلاسل جبال تيان شان، وفى الجنوب جبال ألاس، والقسم الأوسط من البلاد عبارة عن سهول في الغرب ويضم هذا القسم مجموعة من الوديان النهرية مثل وادي ناريـن ووادي نار، ومناخ قيرغيزيا قاري متطرف تعتريه التقلبات دافيء في المناطق السهلية الوسطى حيث تشكل الجبال حماية طبيعية لها، وهذا أحد أسباب تجمع وتواجد المهاجرين الروس بهذه المنطقة حيث ارتفعت نسبتهم إلى ثلث سكان البلاد.

وقيرقيزيا دولة إسلامية يبلغ عدد سكانها ٧ ملايين نسمة، منهم ٥٧% من القومية القيرقيزية و ٤١% من الأزبك الذين يعيش أكثرهم في الجنوب، وما يقرب من ١% من الروس الذين يتواجدون بكثافة فى الشمال إلى جانب أقلية من التتار، وتعود أصول القيرقيز والأوزبك إلى القبائل التركية و٨٠% من الشعب القيرقيزى من المسلمين السنة ويتبعون المذهب الحنفي، و١٨% مسيحيون يتبعون الكنيسة الأرثوذكسية الروسية و٢% من باقى الشعب يدينون بديانات أخرى.

تتمتع جمهورية قيرقيزستان بثرواث زراعية ورعوية ومعدنية جيدة، وأهم المحصولات الزراعية القمح والذرة والارز والقطن وبنجر السكر، وتحوى أراضيها ثروات معدنية أهمها الفحم وقليل من البترول، ويرتكز اقتصاد البلاد اليوم على اقتصاديات السوق المفتوحة، وتنقسم قيرقيزيا إدارياً إلي سبعة

محافظات هى محافظة باتكين، تشوى، جلال أباد، نارين، أوش، طلاس، ايسيك كول، ويتميز الشمال بأنه أغنى من الجنوب، والشعب القيرقيزى أغلبه من الشباب حيث تبلغ نسبة ٣٤,٤% من الشعب أقل من ١٥ سنة، ويتحدث اهل قيرقيزستان اللغة الروسية والقيرقيزية، ومعظم الجلسات البرلمانية تُدار بالقيرقيزية، مع ترجمة فورية متاحة لأولئك الغير ناطقين باللغة القيرغيزية.

وتاريخياً وصلت الدولة القرقيزية إلى أوج اتساعها سنة ٨٤٠ م، حتى وصل نفوذها لمشارف جبال تيان شان حيث استطاعوا مد نفوذهم وسيطرتهم على تلك المنطقة لحوالي ٢٠٠ عام، وفي القرن ١٢ بدأ نفوذ القرقيز فى التقلص حتى تراجعوا لحدود جبال ألطاي وسايان نتيجة لخطر المغول الذين دفعوهم للهجرة جنوباً حتى استولى عليهم جنكيز خان سنة ١٢٠٧م، وقد وصف المؤرخون المسلمون والصينيون القرقيز الأوائل ما بين القرنين السابع وحتى الثاني عشر بأنهم أناس ذوو شعر أحمر وجلد أبيض وعيون زرقاء، وتشير تلك الصفات إلى أصول القيرقيز السلافية الأصل، إلا أنهم وبسبب الهجرات والفتوحات والزواج المختلط، ونتيجة هجرات العديد من الشعوب التي تقطن وسط وجنوب غرب قرقيزستان باتت السمات الشكلية مختلفة من نتاج أصول متخالطة، أو تزاوج نابع من قبائل مختلفة، بالرغم من أنهم يتكلمون لغات متقاربة.

أما عن بدايات النفوذ الروسي لدولة قيرقيزستان فقد بدأت عندما استطاع الجيش الروسي دخول منطقة قرقيزستان عبر منطقة توفا في سيبيريا في القرن ١٥، ثم فى عام ١٨٧٦ احتلتها الإمبراطورية الروسية، فثار القرقيز ضدهم مرات عديدة وهاجرت نسبة كبيرة منهم إلى الصين وأفغانستان، وحكم السوفييت المنطقة في ١٩١٨، وفي ٥ ديسمبر ١٩٣٦ أصبحت قيرقيزستان تُعرف باسم

الجمهورية القرقيزية الإشتراكية السوفييتية إحدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي، وفي أوائل التسعينيات بدأ حدوث تغيرات هيكلية في سياسة البلاد، وفي أغسطس ١٩٩٠ وقعت خلافات بين سكان ولاية أوش من الأوزبك والقرقيز على مدى شهرين انتهت بثورة على مجمل الأوضاع فيما عُرف "بثورة التيوليب"، والتى انتهت بنجاح عسكر آكاييف في الوصول لكرسى الحكم، وبعدها بفترة صغيرة حصلت البلاد على الاستقلال عن الاتحاد السوفييتي١٩٩١.

وقد مر على حكم قيرقيزستان منذ استقلالها عن الإتحاد السوفيتى ٤ رؤساء كان أولهم عسكر باييف والذى تولى الحكم عام ١٩٩١ لفترتين رئاسيتين من ١٩٩٠-١٩٩٥ ثم من ١٩٩٥-٢٠٠٠، ثم جاء من بعده الرئيس كرمان بيك بكاييف الذى حكم البلاد خلال الفترة من ٢٠٠٥ حتى ٢٠٠٩، وتمت الإطاحة به فى "ثورة التيوليب"، وجاءت من بعده روزا أوتونباييفا التى حكمت البلاد بشكل مؤقت لمدة عام، وشهدت البلاد أثناء حكمها الانتقالى وضع دستور جديد، قبل أن تتنحى بعد اجراء الإنتخابات الرئاسية التى أُجريت عام ٢٠١١ وفاز بها الماظ بيك اتامباييف الذى استمر فى الحكم لدورة واحدة فقط.

جدير بالذكر أن قرغيزستان شهدت عام ٢٠١٠ أحداثاً بدأت بسلسلة من العصيان المدني الذى عم العديد من مدن البلاد، بسبب تصاعد الإستياء الشعبي من الرئيس القرقيزي كرمان بك باكييف الذى اتبع سياسة حدت من الحريات الإقتصادية والديمقراطية، أدت للانقلاب عليه في سنة ٢٠١٠ أعقبها إندلاع أعمال عنف أودت بحياة ٧٤ قتيلاً وإصابة ٥٠٠ شخص، وانتهت تلك الأحداث بخلع الرئيس القرقيزي كرمان بك باكييف الذى فرّ إلى مدينة أوش القرقيزية، بإسقاط الحكومة وتشكلت حكومة انتقالية برئاسة روزا أوتونبايفا وخروج

الرئيس كرمان بك باكييف أمنا إلى جمهورية كازاخستان المجاورة بعد وساطات قام بها رؤساء كل من أمريكا وروسيا وكازاخستان.

سير عملية الإقتراع

طبقا لما أعلنته اللجنة المركزية للإنتخابات فقد فتحت مكاتب التصويت أبوابها في الساعة الثامنة يوم ١٥ من شهر أكتوبر ٢٠١٧، حيث أُجرى التصويت في أكثر من ألفي مركز اقتراع، حسبما أفادت اللجنة الإنتخابية في بيشكيك ووصلت نسبة المشاركة بعد ساعتين من فتح مكاتب التصويت، ٧،٥%، وسارت عملية الإقتراع بسلاسة حسب تقارير المراقبين الأولية، فيما أعلن الرئيس اتامباييف صراحة وقوفه الى جانب سورون بيك جينبيكوف، مرشح الحزب الاشتراكي الديمقراطي القرقيزي.

وقبيل إنطلاق الإنتخابات التى انتهت بإعلان جيبينكوف مرشح الحزب الاشتراكي–الديمقراطي القرقيزي أكبر حزب في البرلمان، كانت أوساط المحللين قد أبدت مخاوفها من أن تؤدى الإدارة السيئة للعملية الإنتخابية إلى إنهيار الواجهة الديمقراطية لقرقيزيا، وأن الرهان كان يتعلق باستقرار هش على الرغم من التقدم التقني في الطريقة التي تمت بها تنظيم عملية التصويت، خاصة فى ظل ما هو متعارف عليه فى دول آسيا الوسطى بشكل عام من استخدام حملات التشهير وشراء الأصوات واستخدام موارد الدولة لتغليب المرشحين المحسوبين على السلطة أو النظام.

من ناحية أخرى كانت استطلاعات الرأي التى أُجريت قبيل عملية الاقتراع تشير لتوافر حظوظ إثنين فقط من المرشحين الـ١١ للفوز بمنصب الرئاسة، وانحسرت المنافسة بينها وهما سورونباي جينبيكوف حليف أتامباييف المقرب، ورجل الأعمال الثري عمر بيك بابانوف، وكشفت تقارير منذ بداية انطلاق

الحملة الإنتخابية الدعائية عن وقوع خروقات من جانب معظم المرشحين، ففيما أكدت مصادر أن جيبينكوف استفاد خلال حملته من دعم الدولة بفضل قربه من الرئيس أتامباييف، وميل تغطيات أجهزة الإعلام الحكومية للتقليل من قدرات المنافس الأخر بابانوف، حيث تم وصفه تارة بأنه مرشح غير وطني وغير جدير بالثقة، كما تم نشر تقارير توصف بغير المحايدة وتتركز بطرح أراء غير محابية لبابانوف، وقد تصاعدت حدة هذه الحملة بعد لقاء في سبتمبر تم بين بابانوف المرشح الرئاسى والقيادى فى حزب ريسبوبليكا آتا زهورت المعارض ونور سلطان نزاربايف، رئيس كازاخستان المجاورة، والذى اعتبره البعض تدخلاً في العملية الإنتخابية. وكانت حكومة قرقيزيا قد احتجت رسمياً، على هذا اللقاء قائلة إن جارتها تتدخل فى الانتخابات خاصة بعدما أعلن مكتب نزاربايف إنه التقى مع بابانوف فى كازاخستان وعبر عن استعداده للعمل "مع الرئيس الجديد الذى سيضع فيه شعب قرغيزستان ثقته". فيما أكدت وزارة الخارجية القرقيزية فى بيان لها إنها اعتبرت الإجتماع وتعليقات نزاربايف تعبيراً عن دعم بابانوف ما أدى إلى توتر الأجواء بين كازاخستان وقيرقيزيا، بعدما اتهم الرئيس اتامباييف في خطاب قاس وغير عادي نظيره الكازاخستاني بالتدخل في شئون البلاد، وحذرهم من أن الأسوء قادماَ "سوف اتكلم بشكل مختلف اذا لم يأت جيراننا على حواسهم".

وفى اطار هذه الأجواء، واثناء سير العملية الانتخابية أشار أتامبايف بعد إدلائه بصوته في العاصمة بيشك إنه "تم القبض على مجموعة تضم عضواً سابقاً في البرلمان كانت تخطط لتنظيم أعمال شغب في نهاية التصويت"، ولفت إلى أن ‘‘المجموعة حصلت على السلاح من موظف سابق في الهيئات الأمنية"، وكان أتامباييف قد أكد أن السلطات ‘‘سجنت وستواصل سجن’’ المسئولين

السياسيين الذين يحضّرون لاضطرابات بعد إقفال مكاتب التصويت حتى لا يعكّروا صفو الاحتفال. يجب أن تكون الانتخابات عرسا".

بينما أعلن المدعي العام في البلاد أنه سيُجري تحقيقاً حول التصريحات التي أدلى بها بابانوف منافس جبينيكوف الرئيسي خلال إجتماع بمدينة أوش الجنوبية التى يشكل الأوزبك أكثرية سكانها، قيل أنها تحرّض على الكراهية العنصرية وتأجيج التوتر العرقي وترمى للتحريض على قلب نظام الحكم، حيث كان بابانوف يعول على الحصول على أصوات في مسقط رأسه بإقليم أطلس الواقع شمال غرب البلاد، واعتبر سياسيون أن مواصلة التهم الجنائية ضد بابانوف فيما يتعلق بخطابه بمدينة أوش يُعد بمثابة دليل على عدم قدرة الحكم القيرقيزي على معالجة الندوب المتبقية لعنف "ثورة التيوليب" عام ٢٠١٠.

يُذكر أن إتهامات أثيرت ضد الرئيس المنتهية ولايته باستهداف المعارضة وبخاصة قبيل إجراء الإنتخابات الرئاسية، ويبرز فى هذا الصدد الحكم الذى صدر ضد عمر بك تكباييف زعيم المعارضة والخصم العنيد للرئيس أتامباييف بالسجن ٨ أعوام قبل بضعة أشهر من الإنتخابات الرئاسية وإتهامه بقضايا فساد وتلقى رشوة بمبلغ مليون دولار، وبالتالى إبعاده عن الترشح فى الانتخابات الرئاسية والإطاحة به لصالح جبينيكوف المحسوب على الرئيس، فيما أعتبر الحزب الإشتراكي الذى يتزعمه تكباييف أن الحكم "مفبرك" ومسيس، ما دفعه للمطالبة قبيل اعتقاله بخضوع الرئيس القرقيزى نفسه للتحقيق بشبهات فساد، وهو ما أدى الى اندلاع تظاهرات فى قرقيزستان استمرت على مدى يومين.

ويشار فى هذا الصدد قيام الحكومة باعتقال معارض أخر هو سدير جاباروف الذى حوكم بالسجن ١١ عاما ونصف العام بتهمة مشاركته فى تنظيم عملية احتجاز رهائن، فضلاً عن توقيف السلطات لأحد المعارضين المقربين من

بابانوف وهو كاناتبيك ايساكوف عضو لجنة "جوغوركو كينيش" حركة البرلمان الشعبى المعارض بتهمة التخطيط بمحاولة انقلاب على السلطة الشرعية، فضلاً عن الإتهام الأكبر الذي وجه ضد بابانوف نفسه بالعمالة لصالح دولة كازاخستان واتهامه بشراء الأصوات، وقيام لجنة الانتخابات المركزية بتوجيه ثلاثة تحذيرات له لانتهاك قواعد الحملة الانتخابية.

تقارير الخبراء الاقليميين والمحليين

يُذكر أن الانتخابات الرئاسية قد شارك فى مراقبتها عدة منظمات إقليمية ودولية ومحلية، حيث وصل عدد المراقبين الذين قاموا بمراقبتها ٣٧٠ مراقباً، منوط بهم قياس مدى التزام انتخابات قيرقيزستان بالمعايير الدولية للإنتخابات الديمقراطية، ومدى مراعاتها للتشريعات الوطنية ومراقبة مقرات العملية الإنتخابية من تسجيل المرشحين، وأنشطة الحملات الدعائية، وعمل إدارة الانتخابات والهيئات الحكومية ذات الصلة، وتنفيذ الإطار التشريعي، وحل النزاعات الانتخابية، ومراقبة معالجات وسائل العالم، وكذلك رصد مراكز الإقتراع، والتصويت، وعد الأصوات، وجدول النتائج، ومن المنظمات التى شاركت فى عملية المراقبة أيضاً بعثة منظمة الأمن والتعاون الأوروبية التي يرأسها الفرنسي ألكسندر كيلتشوسكي والتى تكونت من ١٧ خبيراً دولياً، وبعثة مراقبي رابطة الدول المستقلة، وتضم ممثلين من ثمانية بلدان من ١١ بلداً بواقع ١٩٢ مراقبا زاروا خلال يوم التصويت ١٢٢٧ مركزاً للإقتراع.

وقد أكد السكرتير التنفيذي للرابطة، سيرجي ليبيد يف، أن الانتخابات الرئاسية في قرقيزستان كانت حرة شفافة ومفتوحة وراعت معايير الديمقراطية المعمول بها وجرت وفقاً لدستور البلاد وقوانينها وأنها تفي بالمعايير الدولية المعترف بها لإجراء إنتخابات ديمقراطية، وكانت تنافسية وشفافة، على الرغم

من رصد بعض الإنتهاكات الفرديـــة إلا أنها لم تكن تؤثر عـلـى نـتـائـج الإنتخابات.

وهو نفس ما صرح به ازاي غولييف رئيس بعثة المراقبة الانتخابـيـة التابعة لمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا في بيان أن "قيرقيزستان ابدت مثـالاً ايجابياً عموماً على إجراء إنتخابات تنافسية ونقل السلطة سلمياً"، وأنه تم رصد بعض الخروقات وبخاصة ما يتعلق بحالات سوء استخدام الموارد الـعـامـة، والضغط على الناخبين، وشراء الأصوات التى مثلت مصدر قلق أثناء عملـيـة الإقتراع".

أما حركة "من أجل انتخابات نزيهة" المحلية التي تضم سـيـاسـيـيـن وشخصيات حكومية ومدنية من مختلف أنحاء قرقيزستان فقد أكدت في تقاريرها وقوع خروقات وأعمال غير قانونية ومخالفات خلال الحملة الانتخابيـة. وهـو الأمر الذي دفعها للتوجه لمطالبة الرئيس القرقيزستانى، وللجنة الانتخـابـات، ورئيس الوزراء، للتحرك واتخاذ الخطوات اللازمة لوقف المخالفات.

وفى ذات السياق عرضت تقارير برلمانية وصفت بالمثيرة للقلق بـعـض الممارسات التي وقعت في بعض المناطق، ومنها إزالة يافـطـات وشـعـارات سياسية بناءً على أوامر السلطات المحلية، وحظر اجتماعات مع نـاخـبـيـن، وإغلاق مقار مرشحين كانوا على عدم وفاق مع السلطات وبـخـاصـة ضـد المنافسين الرئيسيين لسورونباي جينبيكوف المحسوب على الرئيس اتامباييف، بالتزامن مع هذه الوقائع كانت هناك مئات المخالفات، خاصة بنشر وتـرويـج أخبار دون الاستناد لمدى صحتها، أو استنادها لمصدر موثوق، وخاصـة مـا يتعلق بانسحاب مرشحين من سباق الانتخابات، أو الإعلان عن تحالفات بـيـن قوى سياسية، تهديدات مارسها مرشحون ضد بعضهم البعـض، ومـلاحـقـة

صحفيين حاولوا الغوص بتفاصيل هذه الانتخابات وفضح المخالفين وطرح العديد من الأسئلة والمواد التي تكشف التجاوزات، فضلاً عن التدخل بوقف الدعاية الانتخابية في يوم الاقتراع لمراكز اقتراع بعينها وبخاصة البعيدة عن الحضر، والتصويت باستخدام وثائق تعود لأشخاص آخرين، كما أفادت تقارير برفع دعاوى قضائية ضد العديد من وسائل الإعلام المستقلة الشعبية وتغريمها بغرامة كبيرة بتهمة إهانة الرئيس كمحاولة للترهيب، وتم توقيف عدد من المدونات الإلكترونية والناشطين على وسائل التواصل الاجتماعي ومستخدمي الفيسبوك الذين انتقدوا الرئيس، وتقديم تحذيرات لهم، كما أفادت تقارير أخرى عن رصد أشخاص قاموا بتقديم رشاوى مالية للمواطنين فى منازلهم للتصويت لصالح جبيبنيكوف.

وقبيل إعلان النتائج النهائية أعلنت اللجنة المركزية للانتخابات أن النتائج الأولية بعد فرز ٩٧% من بطاقات الاقتراع أظهرت فوز سورونباى جينبيكوف المرشح المقرب من الحكومة في الجولة الأولى من الانتخابات الرئاسية بحصوله على نسبة ٥٤% من الأصوات، وذكر رئيس اللجنة نورجان شايلدابيكوف أن منافسه الرئيسي عمر بيك بابانوف قد حصل على نسبة ٣٣% من الأصوات، بينما كانت استطلاعات الرأي تتوقع أن تشهد الانتخابات منافسة أكثر حدة بينهما، بالتوازي مع مخاوف من وقوع اضطرابات وفترة عدم استقرار أثناء وبعد الماراثون الانتخابي.

وعلى الرغم من أن جميع استطلاعات الرأي وضعت جينبيكوف بعيداً وراء بابانوف حتى قبل إجراء الانتخابات ببضعة أشهر، حتى أن تقارير توقعت فوز بابانوف بالانتخابات بنتيجة لا تقل عن ٦٠٪ من الأصوات في حين أن أقرب منافسيه لن يستطيع الحصول على أكثر من ٢٥٪ فقط من الأصوات، إلا أن

النتائج الحقيقة أثبتت عكس ذلك لصالح جبينيكوف الذي حلق بعيداً خارج كل التوقعات، على الرغم من أن من الناحية الأيديولوجية، فلا يوجد سوى القليل الذي يميز بوضوح بين المرشحين الرئيسيين، وكانت حملات كلا منهما تتركز بشكل عام على آفاق مستقبل مزدهر لقيرغيزستان تحت حكمهما.

وبعد إعلان النتائج النهائية للانتخابات وتسمية جيبينكوف رئيساً جديداً للبلاد، والخامس منذ استقلالها عن الإتحاد السوفيتى السابق وفى أول خطاب له أكد الرئيس القرقيزي الجديد بينما كان يحتفل مع أنصاره "أشكر خصومي الذين عملوا بجد لتكون هذه الإنتخابات تنافسية"، مؤكداً أن بلاده أظهرت للعالم أجمع أن قيرقيزستان دولة ديمقراطية وذات سيادة، وأن فقط شعبها هو من يقرر مصير هذا البلد"، وذلك رداً على الحملة التى سبقت الإنتخابات وتوجيه إتهامات له بأنه غير وطنى ومحسوب على روسيا وبأنه موال لكازاخستان المجاورة، مؤكداً ومتعهداً على محاربة الفساد، وحماية "وحدة البلاد."

فيما أعلن بابانوف في مقر حملته الإنتخابية في العاصمة بيشكيك أن "الإنتخابات أجريت وانتهت وحصل مرشح واحد على عدد من الأصوات أكثر من أي شخص آخر وهذا يعني أنه فاز"، مضيفاً أن "قرقيزيا" بحاجة إلى الإستقرار "يجب أن تكون المهمة الأولى للرئيس الجديد هى توحيد الشعب فى البلاد "بغض النظر عمن يؤيدهم".

وحول آليات وتوجهات القيادة القيرقيزية الجديدة بزعامة جبينيكوف، ذكر الديوان الرئاسي القيرقيزي أن الرئيس جبينيكوف سيتوجه إلى موسكو فى أول محطة خارجية له، وسيبحث مع نظيره الروسي فلاديمير بوتين قضايا التعاون الإقتصادي والتنسيق السياسي ومحاربة الإرهاب، ما يعنى طبقاً

لتحليلات الخبراء المعنيين بالشأن السياسى فى اسيا الوسطى السير على نفس نهج سلفه اتامباييف فى التقارب مع روسيا والإنضواء تحت لوائها، فيما حرص الكرملين على التشديد على خصوصية العلاقات التى تجمع البلدين، حيث أشار بوتين إلى أن روسيا تثمّن مساهمة جينبكوف الشخصية في تعزيز الشراكة الإستراتيجية والتحالف بين روسيا وقرقيزيا.

وقد كانت المحطة الثانية للرئيس جبينيكوف التوجه إلى مينسك بعد موسكو للمشاركة في قمة منظمة الأمن الجماعي، التي تضم بجانب قيرقيزيا كلا من روسيا وبيلاروسيا وأرمينيا وكازاخستان وطاجيكستان فيما يعكس ترسيخاً لنفس السياسات التى كان ينتهجها أتامباييف.

وفي حين يبدو أن روح التعاون الإقليمي تستيقظ في أوزبكستان، فإن العلاقات الكازاخستانية – القيرقيزية ما تزال تتعرض لنوع من التوترات على خلفية نداء القوميات والعرقيات من جانب، وتعارض الرؤي اقتصادياً وبخاصة ما يتعلق بقيادة الاتحاد الاقتصادى الأوروراسى فى ظل نزعة قيادة كازاخستان من جانب آخر.

يُذكر أن الرئيس المنتهية ولايته "المازبك أتامباييف" ألمح لعودته النهائية الى الساحة السياسية بالعمل الحزبى وقيادة قائمة الحزب الديمقراطي الاشتراكي في قيرقيزستان في الإنتخابات البرلمانية المقبلة" وذلك خلاف ما أثير قبيل انتهاء ولايته بمغادرة السياسة والتخطيط للمشاركة في الأنشطة الإبداعية"، بما في ذلك كتابة الكتب والموسيقى بعد ترك منصبه.

ومن ثم بانتهاء فصل الانتخابات الرئاسية فى قيرقيزيا تكون البلاد قد بدأت الدخول لعهد جديد تحت قيادة رئيس جديد وعبر تداول سلمى وعملية ديمقراطية ناجحة فى مجملها، وإن شهدت بعض الخروقات التى لا تفسد

نتائجها، والشاهد أن قيرقيزيا لن تشهد خلال ولاية جبينيكوف خروجاً عن خط سلفه أتامباييف، وأن تظل فى فلك الدب الروسى، مع العمل قدر الإمكان على تحسين العلاقات مع الدول المجاورة فى منطقة آسيا الوسطى وبخاصة مع كازاخستان.